

التكرار ودوره في انسجام الخطاب وارتصاصه

مقاربة معمارية لآيات من سورة الرحمن

محمد شهري

جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم

الملخص

القول المرصوص يرتفع معناه ويتمركز مبناه حول أسلوب الصياغة للقول والقدرة على هندسة المعمار الكلامي بما يسمى "التشكيل" وبخاصة اذا تعلق بظاهرة التكرار كمتقصد فني في علاقته بترصيص الخطاب ويا له من خطاب لو كان مداره النص القرآني، فالتكرار القرآني هو وجه من وجوه الإعجاز البلاغي، الذي اختص وانفرد به دون الكتب السماوية الأخرى، لما تميّز به من حلاوة وطلاوة، إذ عادة ما يكون الكلام المكرر ثقيلًا وساذجًا، أمّا التكرار القرآني فأنغامه سارية في كلماته، فيبدو واضحًا لما له من مقاصد أخرى غير التوكيد، وأرقى تجلياته بارزة في سورة الرحمن.

الكلمات المفتاح:

الارتصاص - الانسجام - الخطاب - القرآن الكريم - التكرار.

Résumé

Le phénomène de la répétition joue un rôle primordial dans la cohésion du discours. la répétition dans le coran est un miracle de la rhétorique Ce qui est singularisé et unique sans les autres livres célestes étant donné qu'elle est caractérisée par la douceur et la tendresse, puisque généralement la répétition est lourde et assez simple.

Par contre, la répétition dans le Coran porte une intonation valable dans ses mots, il semble clair que ses fins ne sont pas la confirmation, cependant les plus belles manifestations sont importantes dans Surat al Rahman.

Mots clés:

Harmonie- cohérence- discours- coran- répétition.

Abstract

The meaning of cohesive speech arises and its structure centers on the type of wording of the speech and the ability to structure a speech form which is named as “the formalization” and more specifically when it is concerned with redundancy as a literal aim in its relationship with the cohesion of the speech. How wonderful would it be if it orbited on the Quranic text!, because the repetition in Quran is one of the forms of the inimitability of Quran rhetorically, whose specialized and dominated it among the other holy books because of its sweet and flexible composition, wherein usually the repetitive speech is heavy and plain, while the redundancy in the Quran comes in a flowing tunes through its words, whereas it appears accurately for what it consists of other meanings rather than the emphasis, and one of its solemn appearances has appeared in Surah Er-Rahman (The Most Gracious).

Key words:

Keywords - Cohesion - harmony - speech - The Quran - repetition.

مقدمة

التكرار فن قولي من الأساليب المعروفة عند العرب، بل هو من محاسن الفصاحة¹، والتكرار في القرآن الكريم من أسرار الذوق البلاغي والإعجاز القرآني وهو بمثابة الجزء الذي يتألف مع غيره في فهم الصورة البيانية للقرآن الكريم وهذه الصورة بمعناها الآخر "الأسلوب" الذي يتألف من الألفاظ والمعاني والعلاقات والتراكيب، "وهذه الألفاظ إذا اشتدت فأمواج البحار الزاخرة، وإذا هي لانت فأنفاس الحياة الآخرة، تذكر الدنيا فمنها عمادها ونظامها وتصف الآخرة، فمنها حنينها وضرامها، ومتى وعدت من كرم الله جعلت الثغور تضحك في وجوه الغيوب، وإن أوعدت بعذاب الله جعلت الألسنة ترعد من حمى القلوب"².

والصلة قوية بين البيان القرآني في قضية الإعجاز القرآني، وبين تدوين البلاغة العربية التي يقع التكرار في القرآن الكريم بين رحى هذين القطبين، ولا تقف الدراسات البيانية للقرآن الكريم عند حد، بل هي نامية ومنها ما جاء في دراسة السيد قطب في كتابه "التصوير الفني في القرآن" ثم اتبعه بكتاب آخر بعنوان "مشاهد القيامة في القرآن" إذ يقول: هذا الكتاب المعجز الجميل هو أنفس ما تحويه المكتبة المكتسبة العربية على الإطلاق، فلا أقل من أن يعاد عرضه وأن ترك إليه جدته، وأن يستنفذ من ركام التفسيرات اللغوية والنحوية والفقهية والتاريخية والأسطورية أيضاً، وأن تبرز في الناحية الفنية، ونستخلص خصائصه الأدبية، ونجلي المشاعر الكامنة فيه³.

اشتغل الدارسون بالبيان القرآني وإعجازه، فكان القرآن لديهم كله شواهد،

وإن من أسرار القرآن أن يمسك بأحوال النفس الإنسانية كلها، ويجيء إليها بما يناسب كل حال منها في مواجعتها للأحداث، وفي تصورهما وإحساسها بها، وهكذا نجد أسرار البيان القرآني تنكشف عن طريق اللوازم التي تجيء تبعاً للمنطوق، وتتفاوت فيها الأحكام من غير أن تكلف الألفاظ من المعاني اللازمة مالا تطبيق بتكلف التأويل، وتجيء الأسرار القرآنية العالية التي لا تكون إلا لكلام الله سبحانه

ولذلك نجد أن التكرار ورد في القرآن كثيرا، رغم أن الأسلوب في الكلام العادي قد لا يسلم معه من القلق والاضطراب، إلا أنه جاء في كلام الله محكما، ولكون هذه الظاهرة بارزة في القرآن، فقد تعرض لها المفسرون والبلاغيون، وبيّنوا جزءا من أبعادها ودلالاتها على اختلاف مواقعها، كما حاولوا التعرف على محاورها وأمطها، التي تمثلت في تكرار حروف وكلمات، وتكرار بدايات وفواصل وجمل وآيات، وتكرار قصص وأنباء⁵.

والواقع أن التكرار في القرآن من الموضوعات التي نالت عناية خاصة من العلماء قديما وحديثا، واستأثرت بجهد واضح "ابن قتيبة" و "الخطابي" إذ يقول الأول: {وأما تكرار الأنباء والقصص، فإن الله نزل القرآن منجما في ثلاث وعشرين سنة، تيسيرا منه على عباده، وتدريجا لهم إلى اكمال دينه، تنبيها لهم من سنة الغفلة وشحذا لقلوبهم بتجديد الموعظة، يقول الله عزّ وجلّ: {وقال الذين كفروا لو أنزل عليه القرآن جملة واحدة، كذلك لنثبت به فؤادك، ورتلناه ترتيلا}.

فالخطاب هنا للنبي -عليه الصلاة والسلام- يتخول أصحابه بالموعظة عليهم؛ أي يتوعدهم بها عند الغفلة، ولو أتاهم القرآن جملة واحدة لسبق حدوث الأسباب التي أنزل الله بها، وانتقلت جملة الفرائض على المسلمين، وعلى من أراد الدخول في الدين، ولبطل معنى التنبيه وفسد معنى النسخ، لأن المنسوخ يعمل به مدة ثم يعمل بناسخه بعده، ولم يفرض الله على عباده حفظ القرآن كله، ولا أن يختموه في التعلم، وإنما أنزله ليعملوا بحكمه ويؤمنوا بمتشابهه، ويأتمروا بأمره وينتهوا بزجره، وليست القصص كالفروض، لأن كتب رسل الله كانت تنفذ إلى كل قوم بما فرضه الله عليهم من الصلاة وغيرها، وهذا مالا تعرف كيفيته من الكتاب.

وكان هذا في صدر الإسلام قبل إكمال الرسالة الدينية، فلما نشرت في كل أقطار وأفاق الأرض، علم بها الأكابر والأصاغر، وجمع القرآن في المصاحف وزال هذا المعنى واجتمعت الأنبياء في كل مصر وعند كل قوم⁶.

وقد وقف (القاضي عبد الجبار) عند التكرار في القصص القرآني، وردّ طعن الطاعنين بسببه، وبيّن أنه من الوجوه التي تجلت فيها براعة القرآن وظهر فيها إعجازه، كما بين أن التكرار كان تسليّة للرسول عليه الصلاة والسلام، وتثبيتاً لفؤاده على مدى ثلاث وعشرين عاماً.

وهكذا ردّ العلماء ومنهم الخطابي على الذين طعنوا في أسلوب التكرار، وقانون البلاغة يقضي بأن عنان القول في سياق تربية المعاني في القلوب وبثها في الضمائر، حتى تحبط بأقطار النفس وتنفذ إلى مواقع قيادتها والغلبة عليها، متجهة إلى حيث يريد صاحب البيان بتوجيهه وبيانه.

التكرار المصطلح والدلالة

لغة: إنّ استعراض المعنى اللغوي لمصطلح التكرار يبيّن أنّ معاني (كرر) تدور حول عدة محاور بينها ابن منظور كمايلي:

الكر: الرجوع؛ يقال: كرة وكرة بنفسه يتعدى ولايتعدى، والكر مصدر كرّ عليه، يكرّ كرا وكرورا وتكرارا: عطف، وكرر الشيء وكركرة: أعاده مرة أخرى ويقال: كررت عليه الحديث، وكررتّه إذ رددته عليه.

الكر: الرجوع إلى الشيء، ومنه التكرار، والكرة: البعث وتجديد الخلق بعد الفناء.

والكر: الحبل الغليظ، والكركرة: صوت يردده الإنسان في جوفه⁷.

وجاء في لسان العرب في المادة كمر الشيء؛ وكرره: أعاده مرة أخرى، ويقال: كررت الحديث إذ رددته. ويذهب الجوهري ويقول: كرّرت الشيء تكريرا وتكرارا. فالتكرار مصدر من كرر إذ ردد وأعاد، يقال: كرّر الشيء تكريرا وتكرارا، إذ أعاده مرة بعد أخرى⁸.

اصطلاحاً: "أن يأتي المتكلم بلفظ ثمّ بعينه، سواء كان اللفظ متفق المعنى أو مختلف أو يأتي بمعنى ثم يعيده."

والتكرار فضلا في ظهوره في كلام العرب شعرا أو نثرا، ورد في القرآن بكثرة وفي مواضع

مختلفة من سوره، التكرار من أساليب الفصاحة والبلاغة، وقد أخطأ من أنكر ذلك، يقول بدر الدين الزركشي موضحاً ذلك: {وقد غلط من أنكر كونه من أساليب الفصاحة، ضنا منه أنه لافائدة له، وليس كذلك بل هو محاسنها، لاسيما إذا تعلق بعبه ببعض، وذلك أن عادة العرب في خطاباتهم إذا أبهت بشيء إرادة تحقيقه وقرب وقوعه، أو قصد الدعاء عليه كررته توكيداً، وكأنه يقيم تكراره مقام المقسم عليه، أو الاجتهاد في الدعاء عليه. حيث تقصد الدعاء}، وإنما نزل القرآن بلسانهم، وكانت مخاطبتهم جارية فيما بينهم، وبهذا المسلك تتحكم الحجة عليهم في عجزهم عن المعارضة، وعلى ذلك يحتمل ما ورد من تكرار المواعظ والوعيد، لأن الإنسان مجبول من الطبائع المختلفة وكلها داعية إلى الشهوات، ولا يجمع إلى تكرار المواعظ والقوارع⁹.

كما أن دلالة اللفظ على المعنى مرددا حسب علماء البلاغة كقولك لمن ترده: أسرع أسرع، فإن المعنى مرددا في اللفظ الواحد، وهذا حسب قول السيوطي: {هو تجديد اللفظ الأول، كما يراه البعض أنه ضرب من التأكيد¹⁰.

والتكرار هو إعادة اللفظ أو الكلمة أو ترديدهما في الكلام، يقول صاحب "جمهرة الألفاظ": يقال: حديث معاد، مكرّر، مردّد...

وقد يكون التكرار بحرف أو بلفظ أو بجملة.. ويقول "صاحب التعريفات": {التكرار عبارة عن الإتيان بشيء مرة بعد أخرى، وقد نظم "صاحب لآلي التبيان" في ألفيته: مواطن التكرار ودواعيه إذ يقول:

كذلك التكرار قد أطلا في " سوف تعلمون ثمّ كلا"

لغرض التأكيد ما رأينا ولاستماله الذي خاطبنا

كقول من آمن في القرآن "يا قوم" إذ كرر في حنان

طول الكلام قصد الاستعاب تلذذ تحسر في الباب¹¹

التكرار مصدر كرّر إذا ردّد وأعاد، ومصدره السماعي تكرار، القياس تكرير، وقد

طعنهم في أساليب التكرار التي يجيدونها في أمثال سورة الرحمان، وهذا التكرار كما قالوا ليس محمودا من النوع الأفضل في طبقات البيان، ويرى الخطابي أنّ التكرار قسمان:

أ/تكرار مذموم: وهو ما كان فضلا من القول ليس وراءه شيء من المعنى.

ب/تكرار محمود: وهو ما كان فيه شيء من الإضافة أو ما كان تأكيد للمعنى السابق

في سياق يكون التأكيد فيه ضرورة لأداء المعنى وأساليب التكرار في القرآن الكريم من النوع المحمود، فقد ورد التكرار في الأمور المهمة و المعاني التي يحصر القرآن على تثبيتها في القلوب، وقد أشار سبحانه إلى الغرض من التكرار فقال: {ولقد فصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون} سورة القصص الآية 1 وقال أيضا: {وصرفنا فيه الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكر} سورة طه الآية 113 وإذا كان الخطابي قد ناقش التكرار في القرآن، وقال أنه بلاغة وأنّ تركه في الموضوع الذي يتطلبه المقام إخلال بمقاييس البلاغة، فقد كان كلامه عن بلاغة التكرار على سبيل العموم، من غير تفصيل بين التكرار في القصص القرآني¹².

أهمية التكرار

التأكيد عند الرازي هو: {وذكروا في التكرار وجوها: أحدهما التأكيد، وأنه وعيد بعد وعيد، كما نقول للمنصوح: أقول لك ثم أقول لك لاتفعل.}

1/تقرير المعاني في النفس وتثبيتها في الصدور.

2/تقوية المعاني وجعلها ذات إحياء دلالي.

3/الجو التنظيمي في السياق، مما يجعل له أثرا بالغا في نفسية المتلقي¹³.

4/اعتبر الرافعي التكرار نوع من التحدي وجعله إما لتوكيد الزجر الذي يجيء في بعض القرآن أو للتذكير بالنعم فيقول: {وهنا معنى دقيق في التحدي، وما نظن العرب إلا وقد بلغوا منه عجبا، وهو التكرار الذي يجيء في بعض آيات القرآن، وبعد فإن هذا الأسلوب الذي جاءت عليه الألفاظ التي تكررت كان عن قصد،

وعن تدبير يبدو منه:

أ/إيقاظ المشاعر وألفات العقول، وذلك لما يقتضيه الموقف من يقظة ووعي وحذر من أن يفلت من بين يدي الإنسان، ما ينبغي أن يلقي به هذا الموقف من استعداد نفسي وعقلي حتى ينتفع بما فيه من عبرة وعظة.

ولو جاء غرض هذا الموقف بأسلوب مألوف فلربما غفل عنه كثير من الناس، ولربما التفت إليه من التفت منهم بنفس فاترة وعقل شارد، وسورة الرحمن التي تكرر فيها لفظ "فبأي آلاء ربكما تكذبان" معرض متكامل لنعم الله وقدرته، ولرحمة الله وجلاله وعظمته.

ب/ تكرر القصص في القرآن ادعى فيها المطلون قديما وجود تناقض في الأحداث، كما ادعى بعض ممن يكيّدون للإسلام أنّ هذه القصص مؤلفة لأغراض الدعوة، وانتصار الحق على الباطل، وإنّ الأسلوب الفني إثارة العواطف كانا وراء تعدد القصص، وقد كان كتاب "الفن القصصي في القرآن الكريم" للدكتور (محمد خلف الله) خلاصة وافية لكلّ الاقتراحات والطعون الموجهة للقرآن قديما وحديثا. وكانت هذه الظاهرة مما لفت أنظار العلماء إليها، فهذا "البقلاني" يقول في كتابه (إعجاز القرآن): {إنّ إعادة القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدّي معنى واحد، من الأمر الصعب الذي تظهر فيه الفصاحة وتبين البلاغة}؛ وأعيد كثيرا من القصص في مواضع مختلفة على ترتيبات متفاوتة، ونهبوا بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله، ويكشف صاحب البرهان عن سر التكرار في القصص القرآني يقول: {ومنه تكرر القصص في القرآن، كقصة إبليس في السجود لآدم، وقصة موسى وغيره من الأنبياء}؛ وقال بعضهم: {ذكر الله موسى في القرآن في مائة وعشرين موضعا، وقصة موسى عليه السلام في سبعين آية}؛ ثمّ يقول: {وإنّما كرّرها لفائدة خلت عنه في الموضع الآخر، وهي أمور؛ أحدها: أنّه إذا كرّر القصة زاد فيها شيئا؛ ألا ترى أنّه ذكر الحية في عصى موسى عليه السلام، وذكرها في موضع آخر ثعبان.

الثانية: أنّ الرجل "وذلك في صدر الإسلام وقبل أن يكمل نزول القرآن" كان يسمع

القصة من القرآن ثم يعود إلى أهله، ثم يهاجر بعده آخرون يحكمون عنه أي عن القرآن، ما نزل بعد صدور الأولين، وكان أكثر من آمن به 'القرآن' مهاجرا، فلولا تكرار القصة لوقعت قصة موسى عليه السلام إلى قوم، وقصة عسى عليه السلام إلى آخرين، وكذلك سائر القصص فأراد الله سبحانه وتعالى اشتراك الجميع فيها، فيكون فيه إفادة لقوم وزيادة تأكيد لقوم آخرين وهم الحاضرون.

الثالثة: تسلية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم بما اتفق للأنبياء مثله..مع أمهم.

قال تعالى: {وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك} سورة هود الآية 120.

الرابعة: أن إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة وأساليب مختلفة لا يخفي ما فيه من الفصاحة.

الخامسة: أن الله تعالى أنزل هذا القرآن وعجز القوم على الإتيان بمثل آية، لصحة نبوة محمد عليه الصلاة والسلام، ثم بين وأوضح الأمر في عجزهم، بأن كرر ذكر القصة في مواضع إعلاماً بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله، بأي نظم جاؤوا؟ وبأي عبارة عبّروا؟¹⁴ وقال السيوطي: {قد يتكرر نزول الآية تذكراً وموعظة}.

ويقول السيّد قطب في كتابه التصوير الفني في القرآن: {في كل تكرار صورة تختلف اختلافاً يسيراً أو كثيراً، التكرار بلا قصد إلا التكرار، وإن يكن غرضه في صدد الدعوة، ولكنه مع هذا يسير مع الجمال الفني بالتنويع الدقيق الملحوظ.

ويرى كذلك في تكرار القصص رأياً جديداً؛ هو أن القصة المكررة لا ترد كاملة، إنما هو تكرار على حد قوله لبعض حلقاته، ومعظمه إشارات سريعة لموضع العبرة فيها، أما القصة كاملة فلا تكرر إلا نادراً، يقول: {وحين يقرأ هذه الحلقات التي تعرض هنا أو تعرض هناك، وفي طريقة عرضها كذلك، ويجب أن نذكر دائماً أن القرآن كتاب دعوة دينية، وأن التناسق بين حلقات القصة التي تعرض والسياق الذي تعرض فيه هو الغرض المقدم، وهذا يتوفر دائماً، ولا يخل من السمة الفنية إطلاقاً}¹⁵.

الإحالات

- 1- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: الإتيان في علوم القرآن على هامش إعجاز القرآن للبقلائي، دار مكتبة الهلال، ج1، ص176 .
- 2- محمد السباعي: البيان في إعجاز القرآن، مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة، 1960، ص31.
- 3- محمد بركات: الآية التفسيرية وموقعها من البيان القرآني والبلاغة العربية، سلسلة الأدب والبلاغة، ط3 عمان، دار وائل الأردن، ص07.
- 4- المرجع السابق: ص6.
- 5- ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، تحقيق أحمد صقر: دار التراث، ط2، القاهرة، ص232/241.
- 6- المرجع السابق: ص 17 .
- 7- ابن منظور: لسان العرب، المطبعة الأمريكية بولاق، القاهرة، 1300مادة .
- 8- المصدر نفسه: ص135.
- 9- بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج3، ص9 .
- 10- ابن منظور، لسان العرب، 1300 مادة .
- 11- د. مختار عطية: الإطناب في القرآن الكريم... دار الجامعة الجديدة، 2008، ص191/192.
- 12- د. عبد العاطي محمد شلبي: الخطابي والإعجاز القرآني، ط1، 2006، ص170/171.
- 13- بغدادي بلقاسم: المعجزة القرآنية، ديوان المطبوعات الجامعية المركزية، بن عكنون، الجزائر، ص288.
- 14- المرجع السابق: ص174/177 .
- 15 سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، ط6، 1400/1980، ط7، 1402/1982، ص130/156.